

من المفهوم إلى المصطلح "نحو قواعد للمعطيات المفهومية"

د. محمد العربي ولد خليفة

(جامعي)

يسعدني أن أقدم أمام حضراتكم ورقة، تعرض إشكالية المفاهيم وعلاقتها بالمصطلح العلمي، وخاصة في علوم المجتمع، مستجيبا للدعوة الكريمة التي تلقيتها من معالي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع الذي يحتفظ له الكثير من الجزائريين بأطيب الذكر وجزيل الثناء، على ما بذله من جهد خلال تواجده في بلده الثاني دبلوماسيا مرموقا، ومتقفا وعالما من أعلى طراز.

ساهم معالي الدكتور الفحام في توطيد أواصر الأخوة والتعاون بين سوريا حصن العروبة وقلعة الصمود، والجزائر المناضلة من أجل الحرية وهي تشرع إذاك في خطواتها الأولى نحو إعادة تأسيس الدولة وبناء المؤسسات على كل

المستويات، بعد أن انسحب منها عتاة الاستعمار في الشهور الأولى من الاستقلال مهزومين، وكان هدفهم المعلن التعجيز والانتقام.

كيف لا نشدّ الرجال لدمشق الفيحاء، وقد شرفنا مجمعها العامر بالانتساب إلى محفله العريق، ولنا فيه أصدقاء من السابقين الأولين الذين أمّوا الجزائر وساهموا في بناء جامعتها الحديثة التي لم تكن تحمل من وصفها بالجزائرية سوى المكان الذي شيّدت فيه في بداية القرن الماضي، من بين أولئك العزيزين علينا الأستاذ الدكتور إحسان النص الذي له من التلاميذ والمريدين في الجزائر ربما بقدر ما له في جامعات سوريا العتيدة.

أولاً: المصطلحات ومنظوماتها المفاهيمية

قد يكون من المفيد في أية مداولة حول قضايا المفهوم والمصطلح في العلوم الدقيقة وعلوم الإنسان أن نستحضر الجوانب التالية:

1- تتصف تلك العلوم بالخصوصية، بسبب ارتباط أطرها النظرية وأنساقها المفاهيمية بالبيئة التي نمت فيها، والحقبة التاريخية التي حددت موضوعاتها ومناهجها، ونوعية اللغة الفنية المستعملة فيها. فلو تفحصنا النظريات الكبرى التي هيمنت على الإنتاج المعرفي في القرن الماضي، مثل الوظائفية والتفسيرية والبنوية والسيمائية لوجدنا أن لكل منها منظومة مفاهيمية، وما يقابلها من المصطلحات. فإذا كانت الأصول (Paradigmes) المنهجية لإنتاج المعرفة واحدة فإن التغيرات التي عرفتتها العلوم الإنسانية، خلال مراحل تطورها، لا تشير فقط إلى حدوث قفزات علمية في مضامين المعرفة ومناهج البحث، بل إنها تعكس أيضاً تغيرات نوعية في البيئة التي يحدث فيها البحث العلمي (كون 1970 KHUN).

2- إن الثروة المصطلحية في كل لغة هي مرحلة تالية لازدهار البحث العلمي، وليست سابقة له. ولاشك أن معظم الإنتاج العلمي في علوم الدقة والتقانة وعلوم الإنسان يحدث خارج منطقتنا حيث يتسابق التنظير (Théorisation) مع التطبيق.

يكفي لإدراك حجم التراكم المعرفي في فرع واحد من العلوم الأدائية وعلوم الطبيعة والمجتمع القيام بجرد أولي لسنة واحدة مما تنشره الدوريات والحواليات الأكاديمية والجامعية من ملخصات تعجّ بالمفاهيم والمصطلحات الجديدة، وما يعرف بالكلمات الفنية **key words, mots clés** الخاصة بكل مبحث داخل التخصص الواحد.

ساعد ذلك الإنتاج العلمي الغزير على إبراز حقيقتين:

أولاهما: أن علوم الإنسان والمجتمع، لم تعد مجرد ضيف يستأجر غرفة صغيرة في "حوش" العائلة المعرفية الكبيرة، فقد انتهى منذ زمن بعيد تصنيف العلوم إلى نفيسة وخسيصة، فهي تتبادل المناهج والمفاهيم والمصطلحات. وأصبح أي ابتكار في ميدان من عالم الوجود (الأنطولوجيا)، أو عالم المعرفة (الإبستمولوجيا) يتطلب تظافر جهود عدد من المختصين في علوم مختلفة. وكثيرا ما تحدث الاكتشافات المهمة في نقاط التقاطع بين عدة علوم طبيعية وإنسانية، كما هي الحال في اللسانيات، والعلوم السلوكية، والاقتصاد، والكيمياء الحيوية الخ...

(R.P Monge : quartly vol.25,n:1,1977)

ثانيتهما: إن التقدم العلمي عملية كلية ومترابطة، قد يأخذ فرع من المعرفة موقع القاطرة في فترة معينة، وقد يكون محركها النفث، كما نلاحظ

اليوم في المعلوماتية والهندسة الوراثية والاقتصاد. ولكن المعرفة نابعة من أقيانوس واحد، يستفيد كل فرع منها، مما حققه جيرانه من ثروة، في المفاهيم والمناهج والمصطلحات.

3- تشترك العلوم في أصول معرفية واحدة، إلا أن علوم الإنسان والمجتمع لا ترقى من ناحية ثبات ظواهرها و يقينية نتائجها، إلى مرتبة علوم الدقة والعلوم الطبيعية. ولذلك فإن الاهتمام بالتعريفات الإجرائية للمفاهيم، وما يقابلها من مصطلحات، مسألة على درجة كبيرة من الأهمية. فإذا كانت الألفاظ "حصون المعاني" فيما يتداوله الناس من خطابات عادية فإن اختيار تلك الألفاظ وتحديد حقلها الدلالي هو حجر الأساس في بناء العلم بوجه عام، ولا تقتصر فائدته على العلماء وحدهم، بل يفيد المتعلمين، غير أن تقنين المصطلحات، والاجتهاد في وضع كلمات عربية، أو معرفة بدل المفردات الأجنبية المهيمنة على لغة العلم منذ بضعة قرون، (ولا يستثنى من ذلك الآداب وعلوم الإنسان) يبقى مطلباً عسير المنال، بسبب عدد من الصعوبات العملية نذكر منها:

1- يتكوّن المفهوم عبر ثلاث عمليات ذهنية معقدة، هي التعميم والتخصيص والتجريد، ويبقى في حالة فكرة حتى يجد طريقه إلى شكل من أشكال التعبير اللغوي أو الرمزي. وبما أنه حاصل خبرة معرفية مكثفة فإن مفردات اللغة قد لا تستوعب أحياناً ما هو جوهرى من المعاني والأفكار. فهي لا تحيط به - كما يقال - إحاطة السّوار بالمعصم. إن الألفاظ قد تدل على معنيين أو أكثر، أحدهما هو الذي يريد الباحث إيصاله إلى المتلقي، ولكنه لا يستطيع أن يحد ذاكرته الخبروية ويمنع المعاني الأخرى من التوارد في

خاطره. ولذلك فإن أهم ما يرسخ المصطلح بعد توليده واختراعه هي إشاعة استعماله وتقبُّله من طرف المختصين في نفس المجال.
(د. حنفي بن عيسى 1987، د.ع. العروي 1983).

وقد أشار أبو سعيد السيرافي (ت 386هـ) إلى هذه المسألة المهمة بعبارات تقترب من علم اللسانيات والمعجمية المعاصرة فهو يقول:

"بدا لنا أن مركب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل، والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبسطة تامة، وليس في قوّة اللفظ من آية لغة كان، أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سوراء، ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج، وشيئاً من خارجه أن يدخل" (نقله التوحيدي ط. القاهرة 1939).

وفي انتظار حوسبة اللغة العربية، وإحصاء الحقول الدلالية للمفاهيم والمصطلحات، فإن الإشكالية التي أثارها أبو سعيد السيرافي، منذ أكثر من ألف عام قائمة إلى اليوم.

2 - يستمد الفكر العربي رصيده من المصطلحات العلمية في مجالات المعرفة بوجه عام، والاجتماعية بوجه خاص، من طريقتين، أولهما داخلي ويتمثل أساساً في التوليد الدلالي بواسطة الاشتقاق وثنائهما خارجي التعريب. ولكن الصعوبة لا تكمن في إيجاد المقابلات المصطلحية للمفاهيم المستجدة، بل في نقص البحث الأساسي والاعتقاد الساذج بأن التطبيق هو الأهم ولا حاجة إلى التنظير الذي تولاه كبار العلماء الغربيين ومدارسهم بالنيابة عنّا. ولذلك فإنه على الرغم من محاولات التأصيل أو إعادة التأسيس لأنساق ونظريات العلوم الاجتماعية، فإن قسمها الحديث بقي غريب المنشأ ومرتبطة بقضايا وإشكاليات تخص مجتمعات مغايرة.

إن توطين تلك العلوم يتطلب البداية بصياغة فكر معرفي جديد، يقوم على تقويم ونقد الأطر المفهومية ومناهج البحث، وتكييف أدواتها ببيئتنا الخاصة، وحاجاتنا الراهنة، ومشاريعنا المستقبلية، ومن الضروري أن تتزامن هذه العملية التأصيلية مع جهد يقع في صميمها، وهو اختراع المصطلحات، ووضع المعاجم التقنية المتخصصة، وتطوير الدراسات المعمقة في حقول فقه اللغة واللسانيات.

يتمثل الطريق الثاني في التعريب، والمقصود به هنا هو نقل الكلمة الأعجمية إلى العربية بعد تكييفها من الناحية الصوتية والصرفية حتى تلائم الخصائص اللغوية للناطقين بالعربية، ولهذا التوضيح أهميته في وطننا العربي فهو مورد هام لإثراء القاموس المصطلحي ونشر اللغة الوسيطة لكل علم وأدب وفن، وإحداث تراكم معرفي يخرج المفاهيم والمصطلحات من حالتها المعجمية إلى الاستعمال والتداول.

ثانياً: اللغة أداة لإنتاج المعرفة وموضوع لها:

اللغة ليست مؤسسة منفصلة عن المجتمع، إنها في الحقيقة سجّل حاله والصوره الناطقة عن واقعه، ولذلك لا تُوجد لغة متقدمة في مجتمع متخلف، والعكس أيضاً صحيح. إن اللغة هي في آن واحد أداة لإنتاج المعرفة وموضوع لها، وتتضح هذه المسألة على ضوء الملاحظات الأربع التالية:

1- لا توجد لغة علمية كاملة ونهائية، في أي فرع من فروع المعرفة، فهي تتزوّد بالمفردات، وتعابير اللغة الوسيطة من وتيرة الإنتاج العلمي، والترجمة. وهذه الأخيرة مصدر لا يستهان به، فهي منذ أمد بعيد مورد ثري للمفاهيم والمصطلحات، حيث يترجم الإنتاج الفكري والعلمي والأدبي، بعد

فترة وجيزة من نشره في لغته الأصلية، كما هي الحال في غرب أوروبا، والولايات المتحدة واليابان. ولعل ثراء اللغة الإنكليزية، في التعابير والمصطلحات، يرجع جانب منه إلى قيام الباحثين (غير الناطقين بالإنكليزية) بوضع خلاصات لأبحاثهم باللغة الإنكليزية، ونشرها في الدوريات المتخصصة، للتعريف بإنتاجهم واكتساب المكانة والشهرة.

2- تتوقف دقة المصطلح العربي الموضوع بالنحت أو الاشتقاق أو التعريب على ضبط حقله الدلالي، واقتصار اللفظ على المفهوم، أي تحاشي استخدام نفس اللفظ للتعبير عن دلالات أخرى في نفس المجال المعرفي، مما يسبب للدارس والباحث الغموض والارتباك. ولا شك أن الطريقة المثلى هي اختراع مصطلح واحد مقابل مفهوم واحد.

وتساعد الحوسبة على جرد الحقول الدلالية والمفاهيم المتداولة، ووضع مصفوفات للمفردات، وتصنيفها من حيث المعنى والمبني في اللغة العربية واللغات التي ينقل منها المصطلح، فضلا عن إمكانية برمجة الأوزان، والجذور، والاشتقاقات الصرفية، واختيار أنسبها للمفهوم. وتُحقق هذه الآلية اقتصادا كبيرا في الوقت والجهد، وتسمح بالإسراع في تكوين رصيد مصطلحي يمكن أن يتحول بالتدريج إلى مسارد معلوماتية، وبنك للمعطيات، يسهل وضع المعاجم اللغوية العامة، والتقنية المختصة، كما سنوضح ذلك.

3- نظرا إلى العلاقة الوثيقة بين علوم الإنسان وفنون الإبداع الفني والأدبي فإنه من المفيد الاتفاق على مصطلحاتها المشتركة، سواء كانت موضوعة أصلا بالعربية أم معربة. وقد أقر هذا المطلب مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والأربعين.

ولا شك في أن العُملة المصطلحية المشتركة، تساعد على توحيد اللغة العلمية العربية عند الباحثين والدارسين والمترجمين الذين ينقلون من لغات أخرى إلى العربية ما يصدر من أبحاث، ومخترعات في العلوم والفنون والآداب.

والملاحظ اليوم أن المعاجم المختصة، القليلة نسبياً، التي صدرت في فروع المعرفة المختلفة ونظيراتها المترجمة، تقترح وتستعمل مصطلحات متباينة، مما يجعل حقول المعرفة العلمية والأدبية أشبه بسوق تستعمل أنواعا كثيرة من العملة، لها قيمة لا يعرفها إلا صاحبها.

4- على الرغم من تزايد الترميز والتكبير (واعتماد الكَمِّ) (**Quantification**) في مختلف فروع المعرفة، واختزال المصطلحات المركبة في حروفها الأولى لتسهيل الانتشار والاستعمال، فإن اللغة تبقى الناقل الأول للمعرفة، وبخاصة في الآداب وعلوم الإنسان التي تطلب أكثر من غيرها تحكماً في آليات اللغة بوجه عام، ولغة التخصص بوجه خاص. وهذه الأخيرة عبارة عن مجموعة متناسقة من مفاهيم ومصطلحات تُكوّن اللغة الخاصة بفرع معين من المعرفة.

ولكي تصبح الكلمة أو العبارة مصطلحا ينبغي أن تتوفر فيها شروط من أهمها:

أ - أن تكون موضوعة في مقابل معنى أو مفهوم خاص غير المعنى اللغوي المتداول في الاستعمال العادي، وإلا أصبحت مفردة لغوية، لا علاقة لها بالمفهوم المراد تسميته.

ب - أن يشيع استعمالها بين أهل الاختصاص، وإلا فقدت دلالتها وفائدتها الاصطلاحية. فَصُنْعُ كلمة، أو اقتراح مقابل للمصطلح الأجنبي،

يبقى مجرد مشروع مصطلح، حتى تصادق عليه الهيئات المختصة في مجامع اللغة والأكاديميات، ويتداوله أصحاب الاختصاص.

ج - إن اقتراح مصطلح، يعني إضافة فكرة أو مفهوم جديد، واللغة وسيلة لذلك، وليست هدفا في حد ذاته. ولذلك ينبغي أن تتم صياغة المصطلح بعد دراسة وافية للمصادر المصطلحية الخاصة بعلم معين، وتشاور مع أهل الاختصاص، ليكون المصطلح الوليد منسجما مع النسق المفهومي للعلم، ومعبرا بدقة عن منطقته الداخلي.

في العالم الغربي شهدت سنوات الثمانينات تطورا سريعا لبنوك الاصطلاح الآلي، وبروز ما يسمى بالاصطلاح المعلوماتي (Terminotique). ويرجع إنشاء أول بنك اصلاحي معلوماتي إلى سنة (1963)، إذ تمّ انشاء المعجم الآلي (Dicautom) في الليكسمبورغ الذي أصبح في سنة (1973) المعجم الآلي الأوروبي (Eurodicautom). وقد نشأت ليكسيس (Lexis) في ألمانيا سنة (1966)، ونورماتيرم (Normaterm) أنشأتها المنظمة الفرنسية للمقاييس (L'AFNOR) سنة (1973). وقد أقام الكنديون تباعا تيرميوم (TERMIUM) سنة (1970)، والبنك الإصطلاحي الكندي (BTQ) سنة (1973). لكن لم تعرف هذه البنوك كامل انطلاقتها إلا في سنوات الثمانينات مع بروز المعلوماتيات الدقيقة (MICRO-INFORMATIQUE) والمعلومات البعيدة (Télématique).

ورغم تضاعف عدد البنوك ظلت البنوك المشار إليها الأكثر شهرة واستعمالاً، وهي تشكل نظام بنوك الإصطلاح للجيل الأول. ولكنها، مع ذلك، تشكو كثيراً من السلبيات من حيث:

(أ) بنيتها وتصورها لكيفية تدبير المعطيات.

(ب) قصديتها.

(ج) تغذيتها.

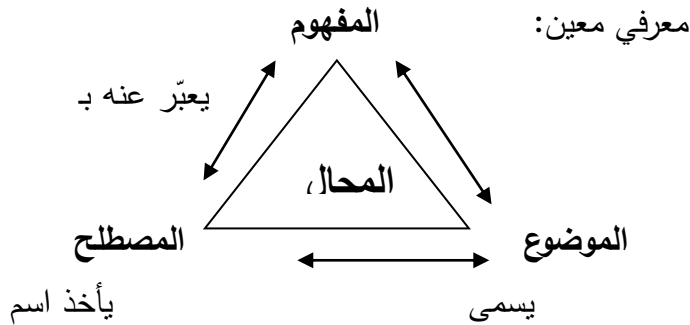
(د) تحيينها.

(هـ) تصفيتها.

(و) غياب بنية متعددة العلاقات (multirelationnelle).

(الأشهب (خ)، مجلد 7، عدد 1، 2002).

يقدم الأستاذ الأشهب المفاهيم الأساسية للمصطلح على النحو التالي: المفهوم (concept)، والموضوع (objet)، والمصطلح (terme). ويوضح الشكل التالي، العلاقات التي تقوم بين هذه العناصر الثلاثة داخل مجال معرفي معين:



ويوضح مدلول تلك العناصر كما يلي:

المجال "مجموعة من المفاهيم المرتبطة فيما بينها بعلاقات دلالية".

المفهوم "وحدة تفكير مكونة بالتجريد انطلاقاً من خصائص مشتركة لمجموعة موضوعات. فالمفهوم "نبات" مثلاً يعد مفهوماً عاماً يصلح لتسمية كل النباتات. ويمكن للمفهوم أن يكون مفرداً أو مركباً".

الموضوع "عنصر حقيقة مدرك أو متصور، يمكن أن يكون مادياً مثل: نبات، أو غير مادي مثل: ذكاء. ويعتبر تمثيلاً محققاً للمفهوم"

المصطلح "وحدة لغوية تشير إلى المفهوم المحدد في لغة اختصاص معين، ويمكن أن يكون كلمة أو كلمات مثل سوسن أو سوسن مذهب، على التوالي".

الخاصية "هي خاصية مفهوم ما. فمفهوم نبات يمكن أن تكون له الخاصيات التالية: أسرة، ومدة الحياة، ورقة... إلخ.

تتكون قاعدة المفاهيم، إذن، من ثلاثة مستويات تجريدية:

أ) مستوى اصطلاحي.

ب) مستوى الخاصيات الحدية أو التعريفية.

ج) مستوى التمثيل.

ولعلّه من المفيد والمستعمل متابعة وتنسيق الجهود لتوفير بنية معلوماتية تسمح بإنشاء قاعدة المفاهيم ومقابلاتها من المصطلحات ودلالاتها المعرفية.

لقد بذل علمائنا جهودا كبيرة في الجامعات ومجامع اللغة العربية ومؤسسات البحث، كما ساهمت الجامعة العربية عن طريق منظماتها للتربية والثقافة والعلوم ومكتبها النشط لتنسيق التعريب في الرباط، والمعاهد المختصة في المصطلحات والتقييس، ساهمت كلها في إثراء لغتنا الجميلة بالكلمات الفنية، وحلّ بعض المعضلات التي تواجه الباحثين والدارسين، في العلوم الدقيقة والتجريبية والآداب وعلوم الإنسان.

حققت تلك الجهود إذا نظرنا إليها مجتمعة، وخلال ما يزيد على نصف قرن إنتاجا معجميا لا بأس به، إذا قوّمناه على ضوء الظروف الصعبة التي تجتازها أمتنا، في كل أقطارها، وإصرار الدول المتقدمة في الغرب والشرق السابق، على احتكار العلم والخبرة والتقانة، واعتبار ذلك جزءا من أسرارها الأمنية، وضمانة لتفوقها الدائم.

أسفرت تلك الجهود على وضع ما يزيد على 150 عملا معجميا، في شتى فروع المعرفة، حظي الطب والأحياء والقانون وعلوم الطبيعة والكيمياء فيها، بالنصيب الأوفر. ولا توجد سوى مدونات قليلة للمصطلح في الآداب وعلوم الإنسان، موجهة، في أغلب الأحيان، إلى مراحل التعليم الثانوي العام والفني. والقليل منها مخصص للطلبة الجامعيين. وقد اقترح مجلسنا دليلا معجميا لنشر المصطلح العربي المستعمل في مختلف مرافق الإدارة بالتعاون بين الخبراء والعاملين في الميدان. وهو يعد الآن وُضِعَ دليل مُيسّر للمشتغلين بالتمريض في مختلف اختصاصات الاستشفاء.

ملخص البحث ومقترحات

من الواضح أن إشكالية وضع المصطلح لا تقتصر على اللغة العربية بل هي فيها أقل مما في غيرها من شجرتها السامية الحامية وحتى في المئتي لغة علمية (200) معروفة في العالم (سالم العلوي 1994) بسبب قدرتها الفائقة على الاشتقاق، على العكس من اللغات الهندوأوربية التي تلجأ إلى التركيب.

وقد بدأ ابن جنّي (توفي سنة 392هـ-1002م) في كتابه الخصائص تقعيد هذا المبحث الهام قبل حوالي ألف عام وعرف باسم "الاشتقاق الأكبر" (ابن جنّي ط مصر 1325...).

إن إشكالية المصطلح العلمي لا ترجع إلى مدى مطاوعة اللغة العربية، وقدرتها على تسمية الأشياء، وضبط المفاهيم فيما يعرف بالمفردات النمطية الموحّدة (Lexical typology). إن الأمر يتعلق بواقعنا المعرفي الراهن، فمن المعروف أن حصيلة الإنتاج العلمي، في وطننا العربي بما فيه براءات الاختراع التقني، ضئيلة جدا حتى مقارنة ببعض البلدان التي خرجت لتوها من غياهب التخلف والاستعمار، وتحررت قبل حوالي نصف قرن أو أقل من الهيمنة الأجنبية المباشرة، مثل الهند والصين وكوريا والفيتنام، وكوبا المحاصرة منذ أربعة عقود من قبل العام سام، جازها المستبد.

إذا اعتمدنا مدخل مكاشفة الذات، رأينا أن لنا موقعا صغيرا جدا، حتى بالنسبة إلى عدد من بلدان العالم النامي الذي ننتمي إليه. ولا يعني ذلك الاستهانة بمؤهلات أمتنا، وقدرتها التي تمر بمرحلة كمون، لا نشك في أنها

سوف تلد العزيمة والهمة وتعيد أمتنا في المدى المنظور إلى موقعها الطبيعي في موكب المقدمة.

إن المصطلحات العلمية ليست مجرد كلمات، أو تراكيب تخزن في القواميس المختصة، أو ملاحق البحوث، وتصنّف منها الموسوعات، بل هي -كما أشرت- العملة الصعبة في بنوك العلوم والمعطيات لكل علم فيها " حساب جارٍ " ينبغي تغذيته باستمرار من المخابر ومراكز البحث.

بعد هذه التوضيحات السريعة، نحمل وجهة نظرنا المتواضعة في صورة ملاحظات واقترحات وذلك على النحو التالي:

1- إذا كان الواقع المعرفي في منطقتنا العربية الإسلامية، يعاني حالياً من فجوة التخلف، ولا يحتل مكانه الطبيعي في موكب المقدمة، فإن ذلك ليس مصيره النهائي، ولا قدره المحتوم، فالمعرفة الإنسانية في أية نقطة وصلت إليها، هي متّصل (Continuum) يتوالى فيه صعود الأمم وهبوطها، فهي أشبه بأموج البحر، لا تتحرك موجة إلا بدفع من التي سبقتها.

2- من الإنصاف أن نذكر بأن جزءاً من معاناتنا الراهنة يرجع إلى ما تعرضت له ذخائر الحضارة العربية والإسلامية من نهب وتدمير، على يد جحافل متوحشة من الصليبيين الذين شوهوا المسيحية السمحاء، والتتار والمغول المعادين للحضارة والعمران. وقد أجهزت الكولونيالية الإجرامية في القرنين الماضيين، على ما أفلت من نفائس المخطوطات، فنحن من الأمم القليلة التي تطلّع وتدرس تراثها الثقافي، والعلمي منه، بوجه خاص، في خزائن الأسكوريال وليدن ومدريد وباريس ولندن وغيرها...

3- إن وضع المصطلحات عن طريق التعريب، أو النقل أو الترجمة في العلوم الدقيقة والتجريبية، أسهل من وضعها والاتفاق عليها في العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تستخدم منذ أمد طويل المناهج التجريبية ولكنها تتطلب في كل اللغات، امتلاك رصيد لغوي، واطلاعاً عميقاً على علوم الدلالة والبيان، فضلا عن الإلمام بقواعد اللغة وفنون التعبير.

4- إن سهولة وضع المصطلح العلمي وتعميمه، وعدم حاجة العلماء إلى تحصيل لغوي وفير، لا يعني إعفاء الطلاب المتخصصين والباحثين في العلوم الدقيقة والتطبيقية من إتقان اللغة. فقد شاع عندنا مشرقا ومغربا، أن إتقان اللغة واحترام بنيتها وجماليتها هو من الحذقة، أو البلاغة الكمالية، وهي من اختصاص الأدباء والخطباء والشعراء وأن تدريس العلوم الطبيعية والطبية والرياضيات يمكن أن يكون بالعاميات المحلية، وهذا بالطبع غير صحيح، فدقة التعبير وسلامة التبليغ مطلوبة من الجميع، وهذا ما نلاحظه في كل البلدان غير التابعة ثقافيا، حيث يتباهى ويتأنق الساسة والإداريون حتى في خطاباتهم اليومية والمكتبية.

إن أعظم العلماء في القديم والحديث، كانوا من النابغين في اختصاصاتهم التي أغنوا من خلالها لغاتهم، وتوجّوا أعمالهم بمؤلفات نفيسة، في الفلسفة والأدب وقصص الخيال العلمي، وقد ساهموا عن طريق وسائل الاتصال السمعي والبصري والمقروء فيما نسّميه تعميم الفصحى، وتفصيح العامية، أي التنقيف العام وإثراء رصيد المجتمع من المصطلحات والأفكار. وقد كان العلماء العرب من السباقين إلى نظم المتون والأراجيز

في مختلف العلوم والفنون والآداب، ولأسلافنا في المغرب العربي باع وأي باع!

5- تتوفر اللغة العربية على الشروط الأساسية لعلمية اللغة وعالميتها،

وهي:

أ- العمق التاريخي الجغرافي: فهي من أقدم اللغات المكتوبة والمنطوقة منذ مئات السنين، في قسم كبير من آسيا وإفريقيا، وعن طريق الإسلام (القرآن) في القارات الخمس. كما أنها بقيت على العموم نفس اللغة التي كتبت بها علوم المقدمة (sciences de pointe)، حتى القرن السابع الهجري، (14م). فلم تمنع الفتن، والتفكك السياسي، والعدوان الخارجي، من ازدهار العلوم والفنون في المغرب والمشرق الإسلاميين.

ب- استقلالية اللغة العربية من ناحية اللسان، (Langue) والكلام (Parole) سواء نظرنا إليها على ضوء علم النص، أم علم اللغة الاجتماعي، أم قارناها بلغات أخرى من شجرتها اللغوية، أو خارج تلك الشجرة (علم اللغة التقابلي أو المقارن)، فقد استمدت الكثير من مفرداتها من لغات أخرى، مثل العبرية والفارسية والهندية كما استعانت بها نفس تلك اللغات، وخاصة في لغة العلم والفلسفة والفقهاء وأصوله، وامتزجت بها كما هي الحال في الفارسية، والتركية، والمالطية. ولكنها حافظت لأمد طويل على خصائصها، وراثتها الكبير في الاشتقاق والمترادفات حتى قال (آدم ميتيز): إن العرب اهتموا كثيرًا بالنثر " وفاقوا في ذلك جميع الشعوب " (آدم ميتز، ترجمة: أبو ريده، ط-ج-1-1967).

ج- التتميط أو القابلية للتعبير (Normalisation)، أي اختيار مفردات معينة، بسبب تواترها، وملاءمتها للمفهوم المراد تعريفه، لما فيه من خصائص تقرب الدال من المدلول.

لم يهتم اللغويون العرب في القديم، بقضايا التتميط في المصطلح العلمي، لأنهم كانوا كما أشرنا ينتجون العلم، بما فيه فقه اللغة، والمعاجم التي وصلت أوجها في نهاية القرن الرابع الهجري، على يد علماء من أعلى طراز، مثل ابن فارس (395هـ)، وحمزة الأصفهاني (350هـ)، والحسن العسكري (395هـ) و الجوهري (392هـ) إلخ...

والملاحظ أن وفرة النشاط العلمي، وتعدد المدارس والاجتهادات في وضع المفاهيم، تقلل من مصاعب التتميط في اللغة الواحدة، كما حدث أثناء ازدهار الحضارة العربية في الفلسفة مثلا، حيث لا نجد سوى القليل من الخلافات في المصطلح، ما بين الكندي وابن سينا وابن رشد ويفصل بينهم زمن طويل.

6- وصفنا اللغة العربية بالمطاوعة والمرونة التي تشاركها فيها كل اللغات السامية بما فيها الأمازيغية المتداولة في شمال غرب إفريقيا، (وخاصة الجزائر والمغرب)، غير أن العربية تتميز باستمرارية تاريخية، وعمق حضاري زاخرٍ وثراء قلّ نظيره في أسرتها اللغوية، وقد أوصلها القرآن الكريم إلى أعلى درجات البيان والإتقان، وهو الإعجاز.

7- إن ثراء اللغة العربية وتمتعها بالمطاوعة وميزة الاشتقاق والنحت، لا تقلل من المصاعب الموضوعية التي يعاني منها الخبراء والباحثون، في كل حقول المعرفة العلمية سواء تعلق الأمر بالتأليف أم تعلق بالترجمة وذلك لعدة أسباب نذكر منها:

- الفجوة المهولة بيننا وبين ركب المقدمة الذي يدفع يوماً،
بآلاف المصطلحات والرموز والتراكيب التي تفرض نفسها على المجتمع
العلمي، وحتى على المجتمع بمعناه الواسع، ويضطر علماءنا إلى التعامل
معها، وملاحقتها قبل الاهتمام بنقلها معربة، أو مترجمة إلى العربية.

- اتجاه العلوم كلها، منذ بداية القرن العشرين، إلى استخدام الرموز
والإشارات الحرفية والرقمية، فأصبح الاختزال لغة اصطناعية يتعامل بها
الناس، ابتداءً بإشارات المرور حتى مخابر الفضاء والهندسة الوراثية
والمعلوماتية.

بعد هذه اللوحة المتعلقة ببعض إشكاليات علمية اللغة العربية، أتقدم
بالمقترحات العامة التالية:

1- إن إثراء لغتنا الجميلة بالابتكارات المصطلحية، ليس مسألة تقنية
بحتة، إذ لا بد أن تتوفر الإرادة السياسية بتجسيد المبدأ الوارد في دساتيرنا،
ومؤداه أن العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، وبالتالي تحشد الجهود
والإمكانات، وتوظف وفق منظور منسّق، بعيد المدى، بإشراك الكفاءات
العربية الموجودة داخل أوطاننا وخارجها. فقد أثبت تفوقُ علمائنا في
الجامعات ومراكز البحث الأوروبية والأمريكية أن العقل العربي لا يقل عبقرية
عن غيره. فالعجز والقصور الحالي راجع في كثير من علله إلى " المناخ العام"، وضعف الإرادة السياسية.

2- ينبغي أن يتجه العمل المشترك والتنسيق بين المجامع إلى التوحيد،
فاللغة الواحدة لها مجمع واحد، يمكن أن تكون له مجامع قطرية، أو مراكز

جهوية تخدم سياسة واحدة لترقية اللغة العربية، ويختار كل واحد منها مجالا من المعرفة حسبما يتوفر لديه من مجمعين وخبراء.

3- انطلاقا من أهمية العمل المشترك، فإنه بالإمكان أن يصبح الاتحاد أشبه بالبرلمان اللغوي الذي يعمل وفق قواعد الديمقراطية، ويسهر على تشجيع الاجتهاد، ويحتضن الإنتاج العلمي الراقي.

4- من الناحية العملية، من المفيد أن تسرع مجامعنا وجامعاتنا ومراكز البحث بوضع خطة على المديين المتوسط والبعيد، لترجمة القائمة الطويلة، من الأبحاث والأطروحات التي أنجزها الباحثون العرب بلغات أخرى في كثير من بلدان العالم. سوف يسفر ذلك عن تحقيق هدفين يتمثل أولهما في إثراء اللغة العربية بمضامين واجتهادات مصطلحية استفادت منها لغات أخرى، ويساعد ثانيهما على معالجة مسألة المصطلح في سياق المجالات العلمية والأدبية المتخصصة. ويمكن اعتبار ذلك خطوة نحو توطين العلم والتكنولوجيا في بلداننا بدل تصدير العقول إلى الخارج واستيراد الجاهز من المعرفة بثمن باهض.

مراجع بالعربية

- الأشهب (خ) = المصطلح المؤد، نحو تصور جديد لقاعدة المعطيات الإصطلاحية- ندوة الترجمة والاصطلاح والتعريب، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط 1999.

- إنشاء عدة معطيات مفهومية...أبحاث لسانية، مجلد 7، عدد 1،
سنة 2002.

- التوحيدى (أبوحيان) = المقابسات، نشر حسن السدوسى، القاهرة
1929.

- العروى (ع.) = التعريب فى ثقافتنا على ضوء التاريخ، دار
التتوير، بيروت، 1983 .

- العلوى (سالم) = ابن خلدون وعلوم اللسان العربى، حوليات جامعة
الجزائر، عدد 8، 1994.

- بن عيسى (حنفى) = معضلة المصطلحات التقنية وحويل
المترجمين، مجلة الثقافة عدد 99، الجزائر، 1987. - فهى حجازى
(محمود) = الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة، القاهرة
1995.

مراجع بلغات أخرى

- Benachenhou (y) = Création d'une base terminologique
arabe- langues européennes Doc. Web. File c yaline % 20 Bench.h
t m.

- Bénéton (P.) = Histoire des mots: Culture et Civilisation
FNSP, Paris 1975.

- Braudel (F.) = Grammaire des civilisations Arthaid,
Flammarion, Paris, 1987.

- Helias (P.-J.) = Le Cheval d'orgueil mémoire d'un
Breton du pays Bigourdan, Peon, Paris, 1975 .

- Khun (S.T.) =The structures of scientific revolutions

S^{ed} -Ed., Univ . of Chicago press, 1970.

- Lerat (P) = les langues spécialisées PUF, PARIS 1995.
 - Sauzet (P.) = langues, Le monde de l'éducation, Février, 1998.
 - Sebaä (R.) = La parole, otage de la langue,
Al-watan 1^{ere} partie, 20-11-1996.
 - Sedrati (Y.) = L'histoire politique de l'arabisation (1962-1988) Al-watan, 10 juin, 1998.
-
- Zghidour (S.) = Au Commencement était la langue N.obs.
N°9, Paris 1992.
-